ثلاثة نقود نادرة تلقي الضوء على تاريخ اليمن قبيل الفتح الأيوبي عام ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م

د. سعيد عبدالفتاح عطا الله

ملخص: يتضمن هذا البحث ثلاثة نقود تلقي الضوء على فترة مهمة في تاريخ اليمن، منذ منتصف القرن السادس الهجري إلى قبيل استيلاء الأيوبيين على اليمن. إذ ألقى نقد بني نجاح الضوء بما سجل عليه من كتابات عن الصراعات الحربية والمذهبية بينهم وبين بني مهدى ، وكشف نقد بني مهدى عن مدى تشوش واضطراب عقيدتهم، كما ألقى النقد من خلال نقوش كتاباته الضوء على نظام الحكم في هذه الدولة، ودعم ما ذكره المؤرخون من سيطرتهم على زبيد ودويلات اليمن في تلك الفترة؛ بينما كشف نقد بني زريع أنهم كانوا يحكمون عدن بعد موت عمران بن محمد، وتمثّل ذلك الحكم فى أولاده تحت وصاية الوزير ياسر بن بلال، وأن بني زريع على الرغم من اعتناقهم المذهب الشيعي إلا أنهم كانوا يحكمون مستقلين عن الخلافة الفاطمية منذ عصر عمران بن محمد، إذ لم يذكر اسم الخليفة الفاطمي على نقوده كما كان يفعل أسلافه، واستمر ذلك بعد وفاته زمن وصاية الوزير ياسر بن بلال على أبنائه، وكان ذلك مؤشراً على ضعف الدولة الفاطمية ونفوذها .

Abstract. Abstract. This study involves three coins that shed light on an important period in the history of Yemen; namely, the middle of the Hijra 6th (12th) century to the moment just before the Ayyubids conquest of the country. The coinage of Bani Najah, through its inscriptions, sheds light on their armed and sectarian conflicts with Bani Mahdi. The coinage of the latter shows the extent of their distorted and confused religious faith. Through those inscriptions, Bani Mahdi's coins further highlight the State's ruling system and enhance the claim that they controlled Zabbid along with other Yemen States of that period. The other coinage exposes the fact that Bani Zurai' were ruling Aden even after the death of A'mran bin Mohammad. His sons, under the guardianship of Vazir Yasser bin Bilal, continued to rule. The coinage further indicates that Bani Zurai', though Shiite, were ruling independently of the Fatimids Caliph since the reign of A'mran bin Mohammad who, unlike his predecessors, never mentioned the name of the Fatimid Caliph on his coins. After his death, this tradition continued during his sons' reign under the guardianship of Vizir Yasser bin Bilal. Such a situation points to the weakness and limited control of the Fatimid State.

سأنشر في هذا البحث ثلاثة نقود وأدرسها، إثنين منها ينشران لأول مرة. وهذه النقود تلقى الضوء على صفحات من تاريخ اليمن منذ منتصف القرن السادس الهجرى إلى أن إستولى البيت الأيوبى على اليمن.

١- دينار نجاحي، ضرب عام ٥٥٠ هـ، باسم فاتك بن محمد ابن فاتك.

يدرس في هذا البحث لأول مرة، وهو نقد فريد، لم يسبق دراسته من قبل[1].

الوزن: ١,٥٩ جم؛

القطر: ٢,٣ سم

وصف الشكل العام

تحيط بهامش الوجه والظهر دائرة خطية متآكلة في بعض الأجزاء، بينما تحصر كتابات المركز بكل من الوجه والظهر دائرتان، ونقشت كتابات النقد بالخط الكوفي ذي الطرف المتقن (النبراوى ٢٠٠٠: ٩)

الوجه

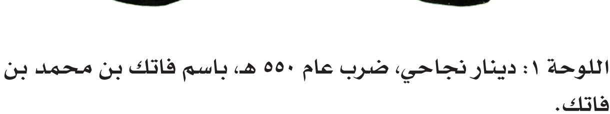
مركز: مخيف
لا اله الا اللـه
محمد رسول الله
الملحــدين

العدد التاسع عشر - محرم ١٤٣٠هـ - يناير ٢٠٠٩م
(ص ص ٧٥-٨٤) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩








اللوحة ١: دينار نجاحي، ضرب عام ٥٥٠ هـ، باسم فاتك بن محمد بن فاتك.

هامش: ...... ضرب هذا الدينر سنة خمسين وخمسمائة.

الظهر

مركز: كهف

أمر به الملك

الآجل الفاتك

الموحدين

هامش: ....

التحليل

كانت بداية الدولة النجاحية منذ سنة ٤١٢ هـ/١٠٢١م على يد مؤسسها نجاح، وعند وفاته عام ٤٥٢هـ/١٠٦٠م (أو سنة ٤٥٥ هـ/١٠٦٣م) استولى بنو صليح على زبيد[٢]، وبقيت تحت حكمهم إلى سنة ٤٧٣ هـ/ ١٠٨١م. وفي تلك السنة استردها بنو نجاح، إلا أنها خضعت لحكم هاتين الأسرتين بالتبادل إلى عام ٤٨٢ هـ/١٠٨٩م، حينما استقرت في يد بني نجاح، لكنهم خضعوا لنفوذ الوزراء، لذلك فقد سقطت دولتهم في سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م، وترك الحكم لبني مهدي بعد الهجمات المتعددة والحصار القاسي الذي ضربه بنو مهدي على زبيد (سليمان ١٩٧٠: ١/١٩٩).

وجاءت كتابات مركز وجه النقد في أربعة أسطر متوازية، نقشت في السطر الأول كلمة «مخيف»، بينما سجلت شهادة التوحيد مختصرة في السطر الثاني، ودونت الرسالة المحمدية في السطر الثالث، وحفرت كلمة «الملحدين» في السطر الرابع والأخير.

ويسترعى الانتباه تسجيل عبارة «مخيف الملحدين» في سطرين أعلى وأسفل كتابات مركز الوجه، التي تلقب بها الملك فاتك بن محمد الذي أمر بضرب النقد مسجلاً اسمه بكتابات مركز الظهر، ويمكن تفسير هذه العبارة في ضوء حالة الصراع العقائدي والسياسي والعسكري التي شهدتها هذه الفترة بين ملوك آل نجاح، من جهه، وبين بني مهدي والأئمة الزيدية، من جهة أخرى، إبان تلك الحقبة (الثقفي ٢٠٠٢: ٢٣٢-٢٣٥)؛ إذ انتقل حكم آل نجاح إلى فاتك بن محمد منذ عام ٥٣١ هـ/١١٣٦م، كما سبق ذكره، وكان فاتك تحت وصاية وزرائه وعبيده، يتصرفون في جميع شؤون البلاد (عمارة اليمني ١٩٧٦: ٢٣٠ - ٢٣١)، وقد تذرع علي بن مهدي بسوء تصرفات الوزراء والعبيد فأغار على زبيد بغية إسقاط حكم بني نجاح وضم ممتلكاتهم، وكان فاتك ضعيف السلطان، فاستنجد أهل زبيد بالإمام أحمد بن سليمان (٥٣٢ - ٥٦٦هـ/١١٣٧ - ١١٧٠ م) فأنجدهم، وشرط عليهم قتل فاتك فقتلوه (الثقفي ٢٠٠٢: ٢٣٧)، ولكن علي بن مهدي تمكن في نهاية الأمر من الاستيلاء على زبيد (الثقفي ٢٠٠٢: ٢٣٨-٢٣٩).

وفى خضم تلك الأحداث ضرب فاتك هذا النقد مسجلاً عليه تلك العبارة السالفة الذكر، التى رمى فيها بني مهدي والإمام الزيدي بالكفر والإلحاد، فقد كان علي مهدي - كما ذكر المؤرخون - خارجي الأصول، حنفي الفروع، متشدداً في العقوبات (عمارة اليمني ١٩٧٦: ٢٣٦)، والإمام الزيدي احمد بن سليمان، حيث كان الزيدية يتبنون آراء المعتزلة في الأصول الخمسة بما يخالف مفاهيم تلك الأصول عند أهل السنة (الشهرستاني ١٩٩٤: ١١٢؛ جلي ١٩٨٨: ٢٥٥)، وتكشف هذه العبارة عن الصراع العقائدى بين علي ابن مهدي والإمام الزيدي، من جهة، وآل نجاح الذين كانوا يحكمون باسم الخليفة العباسي، من جهة أخرى، وسجلوا

ذلك على نقودهم (قازان ١٩٨٣: رقم ٧١٤).

وفى ضوء هذه الصراعات المذهبية والعسكرية يمكن تفهّم مغزى هذه العبارة (مخيف الملحدين)، إذ حاول الملك فاتك بتسجيله هذه العبارة أن يبث الخوف في قلوب من رماهم بالكفر والإلحاد، سواء كانوا بني مهدي أو الإمام الزيدي أحمد بن سليمان، غير أن هذه العبارة لم تكن لتخيف من رماهم بالإلحاد، فقد شرط الإمام أحمد على أهل زبيد أن ينجدهم على أن يقتلوا الملك فاتك فقتلوه، وأزال علي بن مهدي دولتهم، وأسقط حكمهم عام ٥٥٤هـ/١١٥٩م (عمارة اليمني ٢٣٣:١٩٧٦؛ صالح ١٩٧٨: ١٣٢).

وجاءت كتابات هامش الوجه متآكلة ومطموسة في بعض الأجزاء، بينما يظهر منها تاريخ الضرب، الذي جاء نصه: «سنة خمسين وخمسمائة»، تسبقه فئة النقد ونوعيته. ولم يظهر مكان الضرب على هذا النقد، حيث جاء مطموسا، ومن المعتقد أنها مدينة زبيد، التي كانت عاصمة ملك بني نجاح، في أغلب عصر آل نجاح (سليمان ١٩٧٠: ١/ ١٩٩).

وسجلت في مركز الظهر أربعة أسطر كتابية، نقشت في السطر الأول كلمة «كهف»، بينما نقشت عبارة «أمر به الملك»، وحفرت في السطر الثالث عبارة «الآجل الفاتك»، وجاءت في السطر الرابع كلمة «الموحدين». ويمكن تفسير عبارة «كهف الموحدين» التي نقشت على مقطعين بأعلى مركز ظهر النقد وأسفله، بأن الملك فاتك بن محمد النجاحي هو ملاذ الموحدين من أهل السنة والجماعة، إذ أن كلمة كهف تعنى الملجأ والملاذ (الباشا ١٩٥٧: ٤٤٠). ويأتى تسجيل عبارتى «مخيف الملحدين» التي سجلت في كتابات مركز الوجه مع تلك العبارة «كهف الموحدين»، والتى سجلت في كتابات مركز ظهر النقد ليرمي أعداء آل نجاح بالإلحاد، معتبراً نفسه الملجأ والملاذ لأهل السنة؛ وفى ذلك تشكيك واضح في عقيدة الدول المحيطة بآل نجاح، حيث علي بن مهدي الذي أجمع المؤرخون بأنه حنفي الفروع خارجي الأصول، وبنو الرسي، وهم من الشيعة الزيدية (عمارة اليمني ١٩٧٦: ٢٣٦؛ ابن خلدون ١٩٩٢: ٤/٢٦٣؛ شرف الدين ١٩٨٦: ٢٤٦)، وبنو زريع الذين ورثوا مذهب الشيعة الإسماعيلية الفاطمية عن الصليحيين، ويظهر ذلك على نقودهم (Zambaur 1914: No. 506) ويمكن عدّ هذه العبارة من العبارات الدعائية والإعلامية؛ فقد كان للنقود دور إعلامي كبيرا في نفوس الناس، ربما يزيد تأثيرا عما تلعبه وسائل الإعلام في وقتنا الحاضر، لأنها كانت من دلائل إظهار السلطة العليا في الدولة (الحسيني ١٩٨٥: ٢٢٢/٤).

وجاءت كتابات السطر الثانى بمركز الظهر تحمل عبارة «أمر به الملك». ومن المؤكد أن فاتك بن محمد كان يرمي من وراء تسجيل هذه العبارة أن الملك فاتك هو الذي أمر بضرب النقد، ونقش في السطر الثالث عبارة «الآجل الفاتك»، ويأتي لقب «الملك الآجل» الذي نقش في السطرين الثاني والثالث في كتابات مركز ظهر النقد لتدل على الرئيس الأعلى للسلطة الزمنية، فقد كان لقب «الملك» شائع الاستعمال من قبل الأسر الحاكمة غير العربية الأصل؛ أما العرب أنفسهم فقد تحاشوا هذا اللقب لأن وضعهم السياسى لم يسمح به (Lowick 1974: p. 263) ومع ذلك فإن اللقب استعمل قديما في جنوبي بلاد العرب، حيث يعد نقش صرواح الذي تركه الملك «كرب آل وتر»، ملك سبأ، أقدم نقش عُثر عليه في جنوبي بلاد العرب يحمل لقب الملك (الباشا ١٩٥٧: ٤٩٦)؛ واستعمل اللقب في اليمن في العصر الإسلامي لمدة مائة عام تقريبا، وعلى أي حال فهو مؤشر على تناقل الملكية وسط شعب مستقر، يعود إلى عصر ما قبل الإسلام (Lowick 1974: 263). وكان أول ظهور للقب الملك على العملة في عصر السامانين (Markov 1896: 1/ No. 855) بينما يخص اسم «الفاتك»، الذي سجل في السطر الثالث في كتابات مركز الظهر الملك الفاتك بن محمد بن فاتك (شرف الدين ١٩٨٦: ١٩٠)

وجاءت كتابات هامش الظهر مطموسة وغير مقروءة.

وتلقى كتابات هذا النقد الضوء على الصراعات العسكرية والسياسية والعقائدية التي كانت محتدمة بين بني نجاح ومَن عاصرهم مِن الدول المجاورة لهم، حول السيطرة على إقليم تهامة، وبسط النفوذ عليه؛ إلا أن دولتهم لم تستطع الصمود في وجه هذه الصراعات إذ سرعان ما قتل الملك الفاتك، وسقط حكم بني نجاح تحت وطأة هجمات علي بن مهدي وحصاره لمدينة زبيد الذي استمر ثلاث سنوات (صالح ١٩٧٨: ١٣٢).

٢- درهم بني مهدي ضرب زبيد عام ٥٦٦ هـ، من عصر عبدالنبى بن علي بن مهدي.

وينشر لأول مرة[٣] (اللوحة ٢).

الوزن: ١,٥٣ جم

القطر: ١,٨ سم

وصف الشكل العام

قصت حافة النقد في عصور لاحقة، بطريقة غير منتظمة، ويحيط بهامش كل من الوجه والظهر دائرتان خطيتان، تحصران بداخلهما أربعة نقاط مطموسة، موزعة بالتساوي؛ بينما نقشت كتابات مركزي الوجه والظهر محصورة داخل دائرة خطية، ونقش حرف «ع» أعلى كتابات مركز الوجه، يحيط به دائرتان مفرغتان، وزخرف أسفل مركز الظهر بأربع نقاط مطموسة؛ وقد نقشت كتابات النقد بخط النسخ.

الوجه

مركز: لا إلـه الا الله
محمد رسول الله
علـى ولـى الله

هامش: بسم الله ضرب هذا النقد بزبيد سنة ست وستين وخمسمائة.

الظهر

مركز: الامام
شمس
شريعه
الاسلام

هامش صلى الله على رسوله سيدنا محمد وعليه سلم.

التحليل

ينتمى هذا النقد إلى نقود دولة بني مهدي، التي قامت في اليمن، ولم يطل حكمها أكثر من خمسة عشر عاما. وهي تنسب إلى والد مؤسسها الحسن علي بن مهدي بن محمد الحميري الرعيني، من أهل قرية العنبرة، عند نهاية وادي زبيد، قرب البحر. وقامت هذه الدولة على يد مؤسسها علي بن مهدي، الذي نشأ تنشئة دينية على طريقة والده في العزلة والتمسك بالصلاح وحفظ القرآن، كما كان يلتقي في مواسم الحج بمكة والمدينة مع علماء العراق، ويستفيد من معارفهم ويعود إلى بلاده ليقوم بالوعظ والإرشاد بمساجد قرى ساحل زبيد (عمارة اليمني ١٩٧٦: ٢٢٩؛ صالح ١٩٧٨: ١٢٧؛ الزيلعي ٢٠٠٥: ١٢٥)؛ فلما وصل خبره وما كان عليه من الصلاح والتقى إلى الحرة أم فاتك بن منصور، أطلقت له ولإخوته ومن يلوذ به خراج أملاكهم، فأثروا ثراء واسعا فما كان من علي بن مهدي أن جمع من أهل الجبال من خرج معه وحالفه على النصرة، فهاجم ابن مهدي مدينة الكدري إلا أنه هزم وعاد إلى الجبال فأقام بها إلى عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦- ١١٤٧م، عندما كاتب الحرة أم فاتك طالبا منها العفو وأن ترد عليه وعلى أعوانه ومن يلوذ به أملاكه ففعلت ذلك على كره من رجال الدولة، وظل علي بن مهدي يجمع أموال أملاكه حتى وفاة أم فاتك سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م عاد ابن مهدي سيرته الأولى من الإغارة على أملاك بني نجاح، ولمدة تسع سنوات متواصلة إلى أن سقطت زبيد وأصبحت تحت حكمه عام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م (صالح ١٩٧٨: ١٣٠).

أما بالنسبة لتحليل كتابات وزخارف النقد، فقد نقشت كتابات وزخارف مركز الوجه في ثلاثة أسطر متوازية، حفر عليها حرف «ع»، وتحيط بهذا الحرف دائرتان مفرغتان وربما يرمز هذا الحرف إلى الحرف الأول من إسم عبد النبي بن مهدي الذي ضرب النقد في عهده ،أو قد يشير إلى متولي دار الضرب، وسجلت في السطر الأول شهادة التوحيد مختصرة، ودوّن في السطر الثانى الرسالة المحمدية، ونقشت في السطر الثالث عبارة «على ولى الله» وهى من العبارات الشيعية التي تؤكد على أحقية الإمام علي رضي الله عنه في الخلافة والإمامة (الشهرستاني ١٩٩٤: ١/١٠٦) وسجلت هذه العبارة على نقود الدول التي تعتنق المذهب الشيعي كالدولة الفاطمية[٤] وغيرها (حسان ٢٠٠٠: ٦٢).

وسجلت في هامش الوجه البسملة مختصرة وفئة النقد ونوعيته، ومكان الضرب وتاريخه، الذي جاء نصه «سنة ست وستين وخمسمائة»، ويوافق هذا التاريخ فترة حكم عبد النبي بن مهدي.

وحفر بمركز الظهر لقب: الإمام شمس شريعة الإسلام، حيث سجلت كلمات هذا اللقب في أربعة أسطر متتالية، ويزخرف أسفل مركز الظهر أربعة نقاط صغيرة مطموسة، وينفرد هذا النقد بتسجيل هذه العبارة - في حدود علم الباحث - إذ لم يسبق أن سجلت بهذه الصيغة على أي نقد في العصر الإسلامي.

ودوّنت في هامش الظهر عبارة الصلاة والسلام على الرسول الكريم ﷺ بصيغة: «صلى الله على سيدنا محمد وعليه سلم»، وينفرد هذا النقد بتسجيل هذه الصيغة، إذ لم ترد على نقود غيرها من دويلات اليمن على الرغم من أنه قد شاع استعمالها في صيغ مختلفة لاسيما - فيما بعد - على نقود إيلخانات المغول (القصاص ١٩٩٧: ٤). ولعل هذه العبارة تدل على ما كان بنو مهدي يريدون إظهاره من حبهم الشديد للرسول الكريم ﷺ ولآل بيته الطاهرين.

وقد أثار مذهب بني مهدي جدلا واسعا بين العلماء، فمنهم مَن قال بأنهم مِن الخوارج، واستند في رأيه على ما ذكره المؤرخون (صالح ١٩٧٨: ١٢٧ - ١٤٦)، ومنهم مَن قال أنهم يعتنقون المذهب الشيعي مستنداً على عبارة «علي ولي الله»، التي جاءت على نقدهم (الزيلعي ٢٠٠٥: ١٢٥-١٤٣). ومن نافلة القول إن النقود من الوثائق الرسمية التي لا يسهل الطعن في صحتها، إلا أنني لا أميل إلى تصنيف بني مهدي بوصفهم من فرق الخوارج، كما أنني أتحفظ على اعتناقهم للمذهب الشيعي وسأفند كل الآراء قبل أن أقطع برأي حول هذا الموضوع.

أجمعت المصادر التاريخية على أن علي بن مهدي كان على المذهب الحنفي في الفروع، وانه أضاف إلى عقيدته التكفير بالمعاصي، وقتل من يرتكبها، وقتل كل من يخالف إعتقاده من أهل القبلة، وأرتكب كل أفعال الخوارج الشنيعة التي عرفت عنه (عمارة اليمني ١٩٧٦: ٢٣٦؛ الجندي ١٩٨٩: ٥١٦/٢؛ الشيباني ١٩٧١: ٣٧٣/١؛ ابن الحسين







اللوحة ٢: درهم بني مهدي ضرب زبيد عام ٥٦٦ هـ، من عصر عبدالنبى بن علي بن مهدي.

١٩٦٩: ٣٢٢/١) وانفرد ابن خلدون بالقول: «أنه كان على رأي الخوارج يتبرأ من علي وعثمان ويكفر بالذنوب». (ابن خلدون ١٩٩٢: ٤/ ٢٦٣) وسار على نهج ابن خلدون بعض العلماء (صالح ١٩٧٨: ١٣٢؛ الفقي ١٩٨٠: ١٩٩). وجاء في دراسة حديثة لأحد العلماء أن بني مهدي كانوا يعتنقون المذهب الشيعي، ونفى عنهم خارجيتهم بعد أن قام بدراسة نقد مشابها للنقد المنشور في هذا البحث واستند فيما ذهب إليه على ما سطّر على النقد من عبارات شيعية (الزيلعي ٢٠٠٥: ١٣٢).

وهنا تظهر إشكالية كبيرة بين أقوال المؤرخين والعلماء الذين قالوا بأن علي بن مهدي وأبناءه كانوا على مذهب أبي حنيفة في الفروع، ويكفرون بالمعاصي كالخوارج، وبين عبارة «علي ولي الله»، التي سجلت أسفل كتابات وجه النقد، والتي تشير إلى انتمائهم إلى المذهب الشيعي، وهو ما قال به أحد العلماء، مستندا على تلك العبارة، كما سبق ذكره.

وفي حقيقة الأمر، أنه على الرغم من تسجيل العبارة الشيعية على هذا النقد «علي ولي الله» فإنني لا أستطيع تجاهل أقوال المؤرخين في مذهب بني مهدي في الأصول والفروع، وإذا علمنا أن هذا النقد قد ضرب في عصر






اللوحة ٣: دينار زريعي ضرب عدن عام ٥٦٨هـ.

عبد النبي بن مهدي، وكان قد استولى على أغلب ممتلكات الصليحيين والزريعيين في اليمن الجنوبي، يمكن القول إنه قد ضرب هذا النقد بمدينة زبيد وسط قبائل هذا المحيط الشيعي، سواء الزيدية أئمة صعدة، أو بقايا الصليحيين والزريعيين في الدملوة وعدن، لذلك يمكن القول إن هذه العبارة لم تكن تعبراً عن مذهب بني مهدي أصدق تعبير، إنما إرضاء للمتعاملين بها، ولا نعدم الأمثلة على ذلك فقد ضرب هولاكو النقود بعبارات إسلامية في البلدان التي اجتاحها في شرقي العالم الإسلامي، ولم تكن عبارات تلك النقود تعبر عن عقيدة الحاكم، بل إرضاء لأهالي تلك البلاد الإسلامية، يمكن التعامل بها (القصاص ١٩٩٧: ٤-١٣)، ولعل تسجيل عبارة «علي ولي الله» قد جاءت في سياق ما هو سائد على السكة الإسلامية في اليمن، وبصفة خاصة الصليحية، التي تحمل تلك العبارة (الزيلعي ٢٠٠٥: ١٣٦).

ونظرا لعمر الدولة القصير الذي لم يتجاوز الخمسة عشر عاما، كما سبق ذكره، وعدم ظهور نقود أخرى لأي من حكام بني مهدي، سوى تلك النقود الفضية لعبد النبي ابن علي بن مهدي لا يمكننا تجاهل ما أورده المؤرخون بشأن مذهبهم أو التسليم بالعبارة الشيعية التي جاءت على النقد، ويمكن القول إن عبد النبي بن مهدي الذي ضرب النقد في عصره قد سجل هذه العبارة ليحوز على رضا العامة من الناس، الذين ألفوا التعامل بنقود تحمل العبارات الشيعية، مع التسليم بعدم تجاهل آراء المؤرخين بشأن عقيدتهم، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على اضطراب وتشوش عقيدة بني مهدي.

أما بالنسبة للقب الإمام شمس شريعة الإسلام، الذي نقش في أربعة أسطر في مركز الظهر، فلا يمكن تأكيد شخصية من تلقب بهذا اللقب، هل هو عبد النبي بن مهدي الذي ضرب النقد في عهده؟ أم أن هذا اللقب كان من ألقاب بني مهدي، منذ عصر والدهم علي بن مهدي؟ وقد ذكر أحد المؤرخين «أن علي بن مهدي كان يخطب له بالإمام المهدي أمير المؤمنين وقامع الكفرة والملحدين» (ابن خلدون ١٩٩٢: ٤/ ٢٦٣)، كما ذكر مؤرخ آخر أن إعتقاد أتباع بني مهدي فيه كان يفوق إعتقادهم في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم (عمارة اليمني ١٩٧٦: ٢٣٦). وهناك من الأدلة المستقاة من المصادر التاريخية يأتي على رأسها ما يقرره أحد المؤرخين صراحة من أن عبد النبي بن مهدي كان يعرف على ألسنة العامة بالسيد الإمام (الزيلعي ٢٠٠٥: ١٣٤)، واستناداً إلى هذه الأدلة التاريخية يمكن القول إن لقب الإمام كان من ألقاب بني مهدي منذ عصر علي بن مهدي، بينما بقية النعوت التي أضيفت إلى اللقب يحتمل أن تكون خاصة بعبد النبي بن مهدي الذي ضرب النقد في عهده.

ولعل التوجّه التكفيري في عقيدة بني مهدي لجميع مخالفيهم من أهل القبلة فرض عليهم أن تكون لهم إمامتهم المستقلة عن كل تبعية (الزيلعي ٢٠٠٥: ١٣٥).

٣- دينار زريعي ضرب عدن عام ٥٦٨هـ، سجل عليه اسم عمران بن محمد بعد وفاته.

وهو نقد فريد في نوعه في العالم - حتى الآن - إذ لم يسبق نشر مثيل له من قبل[٦].

الوزن: ٢,٣٤ جم؛ القطر: ٢,٧ سم

وصف الشكل العام

تحصر كتابات هامش الوجه والظهر دائرة خطية، بينما



تحيط بكتابات مركز الوجه ثلاث دوائر خطية متوازية، وتحد كتابات مركز الظهر دائرتان خطيتان متوازيتان، ونقشت كتابات النقد بالخط الكوفي المورّق.

الوجه

مركز: محمد

لا الـه الا اللـه

محمد رسول اللـه

على ولى اللـه

هامش: بسم اللـه ضرب بعدن سنة ثمان وستين وخمسمائة المكرمية.

الظهر

مركز: أوحد ملوك

الزمن ملك العرب

واليمن عمـران

بن محمـد

هامش: ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدراً.

التحليل

ينتمى هذا النقد إلى نقود بني زريع ولاة عدن[٦] من قبل الصليحيين، فقد عين المكرم الصليحي ولدي المكرم الزريعي العباس ومسعود واليين على عدن عام ٤٧٦ هـ/١٠٨٣م (عمارة اليمني ١٩٧٦: ١٧٢-١٧٤)، وبقي نظام الولاية الثنائية هذا عدة أجيال إلى أن خلع سبأ بن أبى السعود علي بن أبي الغارات عام ٥٣٣ هـ/١١٣٨م (عمارة اليمني ١٩٧٦: ١٧٨-١٨٢)؛ وعندما اتسع نفوذ علي بن مهدي واستولى على كثير من بلاد اليمن صالحه عمران بن محمد على مبلغ من المال يدفعه إليه سنوياً (ابن الحسين ١٩٦٩: ٣١٣).

وسجلت كتابات مركز الوجه في أربعة أسطر متوازية، جاء في السطر الأول اسم «محمد» ويخص هذا الاسم الحاكم الذي ضرب النقد في عصره، حيث توفى عمران ابن محمد سنة ٥٦٠ هـ/١١٦٤م وترك ثلاثة صبية صغار تحت وصاية الوزير ياسر بن بلال، الذي استمر في نيابة عدن وكان «محمد» هذا أحد هؤلاء الصبية (عمارة اليمني ١٩٧٦: ١٩٠-١٩١)، بينما نقشت شهادة التوحيد مختصرة في السطر الثانى وحفرت الرسالة المحمدية في السطر الثالث، ودوّنت في السطر الرابع عبارة «على ولى الله» وهى تدل على اعتناق بني زريع للمذهب الشيعى، إذ سجلت هذه العبارة على نقود الدول التي تدين بالمذهب الشيعى لتؤكد على أحقية الإمام علي رضي الله عنه في الخلافة والإمامة (حسان ٢٠٠٠: ٦٢؛ الزيلعي ٢٠٠٥: ١٣٢).

وتحمل كتابات هامش الوجه البسملة مختصرة ونوعية النقد وفئتة، ومكان الضرب وتاريخه، وجاءت بصيغة «بعدن سنة ثمان وستين وخمسمائة المكرمية». وهذا النقد دليل أثرى على استمرارية حكم بني زريع لعدن حتى هذا التاريخ.

ويلفت الانتباه كلمة «المكرمية» التي اتصف بها تاريخ الضرب وهى مشتقة من لقب المكرم الذي تلقب به عمران ابن محمد، فقد ذكر المؤرخون أنه كان ذا كرم فياض ومكارمة أكثر من أن تحصى (عمارة اليمني ١٩٧٦: ١٩٠) ودوّنت كتابات مركز الظهر في أربعة أسطر متوازية، جاء في السطر الأول عبارة «أوحد ملوك» بينما نقش في السطر الثانى بقية العبارة «الزمن ملك العرب» وحفر في السطر الثالث تكملة النص «اليمن عمران» وسجل في السطر الرابع بقية الاسم «ابن محمد».

ومن الملاحظ أن عمران بن محمد قد غير نقوش النقود التي ضربها بعد أن كانت قبل ولايته تسير وفق الطراز الصليحي فنقش عمران بن محمد على نقوده عبارة «أوحد ملوك الزمن ملك العرب واليمن»، ولم يكن هذا اللقب من قبيل الزهو فقط، بل يمكن أن يبرر استخدامه حقيقة أن عمران بن محمد الزريعى كان هو الوحيد فيمن عاصروه الذي تولى منصب الداعي الشيعي في اليمن (عمارة اليمني ١٩٧٦: ٢٣٨)، وهناك سبب آخر أورده لويك (Lowick) هو أنه اتخذ هذا اللقب لأنه لم يعد مدينا بالولاء للخليفة الفاطمي (Lowick 1964: 263)' وقد يكون هذا

الرأى مقبولاً إذا علمنا حالة الضعف السياسى والدينى للخلافة الفاطمية (المقريزي ١٩٩٩: ٣/ ٣١٩ وما بعدها؛ سرور ١٩٦٥: ١٢٦؛ حسن ١٩٩١: ٤/ ١٧٤)؛ فقد كان يسجل اسم الخليفة الفاطمـي وألقابه في كتابات هامش الظهر في عهد بني زريع قبل عصر عمران بن محمد (الجابر ١٩٩٢: رقم ٣٠٧٠). وتظهر هنا إشكالية كبيرة في تسجيل اسم عمران بن محمد على هذا النقد على الرغم من وفاته عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م، إذ يتبادر إلى الذهن السؤال الآتي: لماذا سجل اسم عمران بن محمد على هذا النقد بعد وفاته قبل تاريخ الضرب (٥٦٨هـ) بثماني سنوات؟ وتكمن الإجابة على هذا السؤال في إلقاء الضوء على حالة الصراع العسكري، إذ تعرض بنو زريع لهجمات متواصلة من عبد النبي بن مهدي، بعد هزيمتهم النكراء عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م، واستيلاء أحمد بن مهدي على الجؤة وتخريبها، وانحسار ملك بني زريع في الدملوة وعدن، وترك عمران بن محمد عند وفاته صبية صغار تحت وصاية وزيره وعامله في نيابة عدن، ياسر بن بلال (عمارة ١٩٧٦: ١٩١؛ صالح ١٩٧٨: ١٣٧)، ويبدو أن ياسر بن بلال قد تفهم مدى الفراغ السياسي الذي تركه موت سيده عمران مع عدم قدرة صبيته الصغار على ملء ذلك الفراغ، فما كان من ياسر بن بلال إلا أن سجل اسم سيده عمران بن محمد وألقابه في كتابات مركز ظهر النقد، وسجل اسم أحد أبناء سيده وهو: «محمد» بأعلى كتابات مركز الوجه.

وجاءت كتابات هامش الظهر تحمل الآية الكريمة «ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدراً»، وهى جزء من الآية الثالثة من سورة الطلاق، وتحض هذه الآية المؤمنين على التوكل على الله وتفويض أمورهم إليه؛ فمن فعل ذلك كفاه الله ما أهمه (يوسف ٢٠٠٣: ١٨٠). وقد سجل عمران بن محمد هذه الآية على نقوده (Bik hazi 1970: 80) ليعلن توكله على الله وتفويض أمره إليه، في وقت اضطربت فيه الحالة السياسية في اليمن، واحتدمت فيه الصراعات العسكرية والمذهبية، واستمرت هذه الآية تسجل على النقود الزريعية بعد وفاته حيث سجلت على هذا النقد، الذي ضرب زمن وصاية الوزير ياسر بن بلال على أبنائه، كما سبق ذكره.

ويخلص البحث إلى تسليط الأضواء على حالة الصراع بجوانبه العسكرية والسياسية والمذهبية، من خلال استقراء ما جاء على هذه النقود الثلاثة من كتابات وتحليلها، فقد ألقت كتابات النقد الأول الضوء على حالة الصراع العسكري والسياسي بين بني نجاح، الذين حاولوا الدفاع عن بلادهم دفاع المستميت ضد هجمات بني مهدي وأئمة صعدة، الذين رماهم بنو نجاح بالكفر والإلحاد، مذكرين أنهم هم الملاذ لأهل السنة والجماعة، وإن كان ذلك لم يوقف هجمات بني مهدي على زبيد وسقوطها في يد علي بن مهدي.

ويكشف ما سجل على النقد التالي إضافة إلى أقوال المؤرخين المعاصرين لأحداث تلك الفترة ومن جاء بعدهم عن مدى الاضطراب والتناقض العقائدي الذي كان عليه بنو مهدي فما سجل على كتابات النقد يدل على اعتناقهم للمذهب الشيعي، بينما يجمع المؤرخون القدامى على اعتناقهم للمذهب الحنفي في الفروع وارتكابهم أعمال الخوارج، في ممارساتهم وتكفيرهم كل من يخالف مذهبهم من أهل القبلة؛ ومما يدعم هذا التناقض المذهبي أيضا، ما ذكره المؤرخون أن علي بن مهدي كان يلمّح أنه المهدي الذي حان وقت ظهوره بينما نجد أن مؤرخ أئمة صعدة الذي كتب سيرة الإمام أحمد بن سليمان قد وصف ابن مهدي بأنه قرمطي يبطن الزندقة والباطنية ويظهر التعفف والنسك والزهد، ويُستقرأ من بقية كتابات النقد نظام الحكم الذي كانت تقوم عليه دولتهم وهو نظام الإمامة.

بينما تلقي كتابات النقد الثالث الضوء على حالة الاستقلال السياسي لبني زريع عن الخلافة الفاطمية، وذلك نظراً لضعف تلك الخلافة، بل وسقوطها قبل ضرب النقد واحتفاظ بني زريع بحكم عدن على الرغم من الاضطرابات السياسية والعسكرية في اليمن، بما لا يدع مجالا للشك في استمرارية بني زريع في ضرب النقود بعد وفاة حاكمهم وتركه أولاداً صغاراً تحت وصاية الوزراء والعبيد.

د. سعيد عبد الفتاح عطا الله، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة.

الهوامش والتعليقات

١- نشر اسبنك (spink) صورة النقد، لكنه لم يعلق عليه وهو محفوظ في إحدى المجموعات الخاصة بالبحرين، انظر Spink and son zurich، 1991، Austion No. 37.

٢- زبيد: مدينة مشهورة باليمن أحدثت فى أيام المأمون، وبإزائها ساحلي المندب وغلافقة، ينسب إليها جمع كثير من العلماء (الموى ١٩٩٠: ١٤٨/٣).

٣- النقد محفوظ بإحدى المجموعات الخاصة بالبحرين، وينشر فى هذا البحث لأول مرة، وقد نشرت خمسة نماذج من هذا النقد:

١) Munzen und Medaillem sale 20 th October 1986، lot 42.

٢) Spink and son Zurich ، Auction 22 ، Coins of the Arab world،no. 130.

٣) ثم نشرت مؤسسة النقد العربي السعودي النقد الثالث عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م في كتالوج: «متحف العملات»، ص ١٢٢ رقم ٢٤، وقراءته غير دقيقة

٤) Stephen AlBum، sylloge of Islamic in Ashmolean، vol. 10، Arabian and East Africa Oxford، 1999، No. 150.

٥) النقد الذي نشره الدكتور الزيلعي في بحثه المشار إليه بقائمة المصادر والمراجع، وأشار أن النقد محفوظ بمجموعة مؤسسة النقد العربي السعودي، وهو مشابه كثيرا للنقد الذي نشرته المؤسسة عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، وقد جاءت قراءة هامش ظهر النقد غير دقيقة.

٤- عن العبارات الشيعية التى سجلت على نقود الدولة الفاطمية انظر: (حسان ٢٠٠٠: ٣٢ -٧٠).

٥- النقد محفوظ في إحدى المجموعات الخاصة بالبحرين.

٦- عدن: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية رديئة، لا ماء فيها ولا مرعى، وشربهم من عين بينها وبين عدن مسيرة يوم، وعدن بلدة تجارة يجتمع إليها التجار، فهي مرفأ مراكب الهند (الحموى ١٩٩٠: ٤/١٠٠).

المصادر والمراجع العربية

ابن الحسين، يحيى بن الحسين بن القاسم ١٩٦٩، **غاية الأماني بأخبار القطر اليماني**، تحقيق: سعيد عاشور، مراجعة محمد مصطفى زيادة، القسم الأول، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة.

ابن خلدون، عبد الرحمن ١٩٩٢، **تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ط ١، مج ٤. دار الكتب العلمية، بيروت.

الباشا، حسن ١٩٥٧، **الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار** القاهرة

الثقفي، سليمان بن يحيى ٢٠٠٢، **سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ٥٣٢ - ٥٦٦ هـ**، تحقيق: عبد الغني محمود عبد العاطي ط ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة.

الجابر، إبراهيم الجابر ١٩٩٢، **النقود العربية الإسلامية فى متحف قطر الوطنى ٢**، وزارة الإعلام والثقافة، الدوحة.

جلي، أحمد محمد ١٩٨٨، **دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين«الخوارج والشيعة» ط٢**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب ١٩٨٩، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع ط١، ج ٢، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء.

حسان، محمد فارق ٢٠٠٠، كتابات المسكوكات الفاطمية وتطور زخارفها دراسة أثرية فنية، مخطوط رسالة ماجستير مقدمه إلى كلية الآداب، جامعة طنطا.

حسن، إبراهيم حسن ١٩٩١ **تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعي**، ط ١٣، ٤ اجزاء بيروت.

الحسيني، محمد باقر ١٩٨٥، **النقود العربية ودورها الإعلامي والتاريخي والفني، موسوعة حضارة العراق**، ج٩ وزارة الإعلام، بغداد.

سرور، محمد جمال الدين ١٩٦٥، **الدولة الفاطمية فى مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة فى عهدها**، دار الفكر العربي، القاهرة.

سليمان، احمد السعيد ١٩٧٠ **تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة**، جزأن، القاهرة.

شرف الدين أحمد حسين ١٩٨٦، **اليمن عبر التاريخ (من القرن الرابع**

عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين) دراسة جغرافية تاريخية سياسية شاملة، ط ٤ الرياض.

الشهرستاني، الإمام أبي فتح محمد بن عبد الكريم ١٩٩٤، **الملل والنحل**، تعليق: أبو عبد الله السيد المندوه ط ١، ج ٢ مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

الشيباني، أبو الضياء عبد الرحمن بن علي الديبع ١٩٧١، **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع ج٢ المكتبة السلفية القاهرة.

صالح، محمد أمين، ١٩٧٨، «دولة الخوارج في اليمن بنو مهدي في زبيد، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية»، **المجلة التاريخية المصرية**، ع ٢٥، القاهرة.

عمارة اليمنى، نجم الدين عمارة بن على ١٩٧٦، **تاريخ اليمن المسمى المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها**، تحقيق: محمد بن على الأكوع الحوالى ط ٢ القاهرة.

الزيلعي، أحمد بن عمر ٢٠٠٥، «أضواء جديدة على دولة بني مهدي، من خلال درهم فضة ضرب زبيد عام ٥٦٦هـ في زمن عبد النبي بن مهدي»، المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية، جامعة صنعاء، **مجلة صنعاء الحضارة والتاريخ**، مج ٢، صنعاء.

الفقي، عصام عبد الرؤوف، ١٩٨٠، **اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول**، القاهرة.

قازان، وليم ١٩٨٣، **المسكوكات الإسلامية**، مجموعة خاصة، بيروت.

القصاص، صابرين عبد الجيد على ١٩٩٧، السكة الايلخانية (٦٥١ – ٧٥٦ هـ/١٢٥٣ – ١٣٥٥ م) مخطوط رسالة ماجستير مقدمه إلى كلية الآثار جامعة القاهرة.

المقريزى، تقى الدين أحمد بن على، ١٩٩٩، **إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر ٦٠ ج٣، القاهرة.

النبراوى، رأفت محمد ٢٠٠٠، «الخط العربى على النقود الإسلامية «**مجلة كلية الآثار**، جامعة القاهرة، العدد الثامن ١٩٩٧م (ص ص ١–٧٣) القاهرة.

يوسف، فرج الله أحمد ٢٠٠٣ **الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية**، دراسة مقارنة، الرياض.

المراجع الأجنبية

Bik hazi , R. J. 1970. "Coins of Al - yaman 132- 569 A.H", **Al - Abhathm** vol. XX III, Bierut.

Lowick, N.1964. **som unpublished coins of the sulayhids and Zuray>ids** , Nc. (p.p. 261 - 270, plates xx-xx1) London.

Mark>off,A 1896. **Inventary of Mohammedan Coins in the Hermitagl Museum**, Saint Petersbeurg (en Russe).

Stephen Al Bum, 1999. "Sylloge of is lamic coins in the as hmolean", **Arabia and East africa**,Vol.10, oxford.

Zambaur m E.v, 1914. **Nauvelles contributions a la Numismatique orientalle**. NZ, wien.